ورسخت محبة القوة في النساء ولذا نراهنّ اسهل انقياداً في المسائل السياسيّة والدينيّة من الرجال

ولما كان الانسان قد ارتقى من دور الوحشيّة ولا يزال آخذاً في الارتقاء كان لا بدّ من ارتقاء المرأة ايضاً وارتقاؤها يضعف هذه الاختلافات بينها لزوال الاسباب التي اوجبتها

هذه خلاصة ما يقال عن ماهيّة علم السيولوجيا والصعوبات الّتي تحول دونهِ وانواع العلوم الّتي يلزم درسها قبل الخوض فيهِ واستجلاء حقائقهِ . وسنبسط الكلام في الاجزاء التالية على اصول هذا العلم

المذاهب الفلسفيّة

لحضرة الكاتب الجيد صموئيل افندي بني

بديهيٌّ ان الانسان ميّال الى البحث عمّا حولهُ من شؤون الكون مشغوف باستقراء الاسباب والعلل سواء اهتدى في بحثهِ إلى الحقيقة او ضلّ سواء السبيل

والسبب في استفراغ جهدهِ وراء اجلاء الغوامض ما يجدهُ في نفسهِ من الكربة والامتعاض لوقوفهِ تجاه المسائل جاهلاً وما يشعر بهِ من اللذة والارتياح لدى استطلاع كنهها. على ان ذلك الامتعاض من الجهل وتلك اللذة من المعرفة قد انتجا لهُ العلم ثم الفلسفة

والفلسفة لفظة يونانيّة يقصد بها في اصل الوضع حب الحكمة او العلم ثم توسعوا في تحديدها واكثروا من تعريفها على ان اختلافهم في التحديد وتباينهم في التعريف لم يحولها عن غايتها المثلى ومقصدها الوحيد وهو معرفة الاشياء باسبابها

وظلّت الفلسفة عهداً طويلاً عبارة عن المعارف الانسانيّة جملةً ممزوجة بعضها ببعض ولم يتطرق التقسيم اليها الاّ منذ ظهور المدارس بمذاهبها الفلسفيّة . اعتبر ذلك بمذهب المدرسة الايونية فانهُ افرز الطبيعيات عن سائر العلوم وهكذا عملت مدرسة الفيثاغوريين بالرياضيات والفلك ومدرسة الاليائيك بالعلوم العقليّة

وان كانت المذاهب الفلسفيّة لهذا العهد كثيرة فانها ترجع بجملتها إلى اصلين وهما الحس والعقل فالتي تعتمد الحس في ابحاثها هي المادية والحسية والايقورية او النفعية والاختبارية والوضعية واللاّأدرية . والّتي تعتمد العقل في ابحاثها هي العقليّة والعنادية والروحية والاعتقادية وغيرها

واقدم هذه المذاهب عهدًا المذهب الحسي وهو يطلق اليوم على كل رأي يقول بأن تصورات الانسان مصدرها الحس ولهذا المذهب ثلاث مظاهر او ثلاثة انواع النوع الاو المذهب المادي والثاني الحسي والثالث الايقوري او النفعي

١

فالمادي وهو اقدم الثلاثة عهدًا نشأ في المدرسة الايونية حيث كان اساتذتها يبحثو عن الطبيعة من الطبيعة وحسبك انهم اختلفوا في تعيين جوهر الاشياء ما بين ماء وترا وهواء ونار ومع ذلك لم يخرجوا في ابحاثهم هذه عن المادة ولا تعدوها وخلاصة الامر ان الماديين يبالغون في تعظيم شأن المادة ولا يعتبرون شيئًا في هذا الكون خارجًا عنها ويقول ايضًا ان ليس في الانسان شيء غير مادي . وما الفكر والتصور والارادة الاَّ من وظائف الدماغ كما ان التنفس من وظائف الرئة والهضم من وظائف المعدة وافراز الصفراء من وظائف الكبد وان على انسلخ الدماغ وضعفه واختلاله وعافيته يتوقف ضياء الذهن وخمو وان التصورات والافكار والاميال تتكيف بتكيفه وتتبعه في سائر الاحوال . وقد كت اسعادنا المقتطف في الطاسة والنابغة من سنيه الشيء الكثير عن الماديين وفساد فلسفتهم مما يكفينا مؤونة الافاضة ويغني بحاجة المطالع الاديب

٢

اما المذهب الحسي فيذهب ذووهُ ان المعارف الانسانية تحصل ابتداء في النفس بواسط الشعور او بواسطة الانفعال الداخلي المسبب عن الحواس على ان بعضهم يذهب الى ان الشعور هو الادراك بالذات وانهُ مصدر كل تصوراتنا وفريق يقول ما الشعور الاَّ مادَّة التصو وان للقوى العاقلة يدًا في انطباع تلك التصورات إلى غير ذلك مما سنقف عليهِ

واشهر زعماء هذا المذهب في القدم ابيقورس الفيلسوف اليوناني ولد في اثينا عام ٣٤١ ق . م وقال ان المباحث المبنية على الحس منزهة عن الغلط واعلى من ان تنتقد وان كل رأ او بحث يبنى على تجرد الفكر لا يخلو من الشطط في اكثر الاحايين وضرب لذلك مثلاً اننا نر عن بعد برجًا مربعًا فنظنهُ مستديرًا ولا نتبين حقيقة امره حتى نقترب منهُ ويقع تح حواسنا فنصلح حينئذٍ خطاء الفكر بشهادة الحس الصادقة وعلى هذا المبدإ وضع القواع الاربع الآتية

اولاً ان الحس لا يخطئ ابدًا

ثانيًا لا يقع الضلال الاَّ من الفكر

ثالثاً الفكر يكون صواباً اذا اثبتهُ الحس ولم ينقضهُ

رابعاً يكون الفكر ضلالاً اذا نقضهُ الحس ولم يثبتهُ

ولم يكن المذهب الحسي قبل العصر الحديث مستقلاً بذاتهِ بل كان يمتزج تارةً بالمادية وآونةً بالادرية واخرى بغيرها فان بروتغورس خرج من مدرسة ديمقراط المادية وقال ان الانسان قياس كل شيء وان المعارف في الانسان مصدرها الشعور حتى ان الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى علّمت بان لا شيء في الادراك لم يأتِ عن طريق الحس على ان هذا المذهب استقلَّ تماماً واتخذ منهاجاً جديداً منذ القرن السادس عشر حيث ظهر في اوسطو الفيلسوف بأكون الانكليزي واضع الفلسفة الحديثة والمشهور الحرب العوان على الفلسفة المدرسية وابو المذهب الحسي الحديث على انهُ وان كان اباً لهذا المذهب فقد خلفهُ من الفلاسفة من هم اشدّ منهُ استمساكاً بالحس كهوبس كاندي وتوماس هوب وحسيك بمناظرات كاندي مع ديكارت شاهداً لما قلناهُ فان كلاً منهما كان يطلب الحقيقة ولكنهما اختلفا في الطرق التي تنتهي اليها فان الاول اي كاندي لا يعتبر غير مدركات الحس وشهادة الوجدان والثاني لا يعتبر غير البداهة وقوى العقل وهذه المناظرة بينهما او الحرب العوان ما بين الحسيين والعقليين جعلت لكاندي مقاماً سامياً في قومهِ وضمت تحت لواء مذهبهِ عدداً وافراً من رجال العلم الثابتين

وما طال الامر حتى ظهر الفيلسوف لوك في القرن السابع عشر بمنزع جديد للمذهب الحسي واول ما نعلم انهُ نقد آراء الذين يقولون بان العقل غريزي في الانسان واقام الادلة الكثيرة على انهُ اكتسابي فيهِ . ثم قال ان التصورات تأتي من التجربة وجعل للتجربة هذه نوعين من العمل وهما الشعور والملاحظة وقال ان لكل واحد منهما تصوراً خاصاً فجعل الشعور مصدر كل تصور يختص بخصائص المحسوسات كالبياض والصفرة وغيرهما من الالوان وكالبرودة والحرارة والصلابة والليونة والمرارة والحلاوة والحلب والبغض وجعل الملاحظة مصدراً لكل التصورات التي تسميها ادراكاً وفكراً وارتياباً وظناً وتحقيقاً ومعرفة وارادة وبالجملة مصدراً لتصور كل افعال النفس الكثيرة . وقال عن وحدة الذات في الانسان انها ليست بقائمة فيهِ بوحدة الجوهر ولكنها قائمة بوحدة الوجدان والذاكرة وان لا تباين بين الفكر والمادة وليس الجوهر سوى مجتمع كيات كثيرة من مؤثرات المحسوسات

وبعد قليل نبغ الفيلسوف كوندياك بمظهر جديد للمذهب الحسي فانهُ قال ان كل قوى النفس من غير استثناء كالانتباه والمقايسة والحكم والتعقل والعواطف والارادة ليست سوى

الشعور بالذات متشكلاً بمظاهر مختلفة واما كيفية تولد القوى على حسب رأيهِ فانهُ حين يكون الشعور كلهُ على حالة واحدة من القوة تحصل للنفس من ذلك صورة واحدة ولا يكون الانسان معها الاَّ حيواناً ذا شعور ولكن اذا وجد بين مجموع انواع الشعور شعور واحد اقوى واشد فعلاً من غيرهِ حصل للنفس صورة اخرى وهو ان هذا الشعور الفعَّال يتغير للحال فيصير انتباهاً فمن الشعور يخرج الانتباه ومن الانتباه تنبعث قوى النفس

وقد يعقب الانتباه انتباه آخر جديد منبعث عن شعور فعال فالشعور الاسبق المستحيل إلى انتباه تحفظهُ النفس فيستحيل الى ذاكرة بعد استحالة الشعور التالي الى الانتباه يعني ان الانتباه كالذاكرة فالاول شعور استحال على الفور فصار انتباهاً والثاني انتباه وقع في الماضي فحفظتهُ النفس فاستحال الى ذاكرة فالذاكرة إذاً شعور مستحيل ومتى وجد العقل بين انتباهين فمن الضرورة ان يقابل بينهما لانهُ حيث اجتمع انتباهان وجدت المقايسة فالمقايسة اذاً ليست سوى انتباهين والانتباه شعور مستحيل فالمقايسة اذاً شعور مستحيل ومن ثم لا يمكن ان تكون المقايسة بين فكرين الاَّ ويرى بينهما شيئاً من المشابهة او الاختلاف فتظهر حينئذٍ اعمال التمييز التي هي والمقايسة ليستا سوى الانتباه نفسهِ ويلحق التمييز التعقل والحكم وكل هذه الافعال ترجع الى الانتباه اي إلى الشعور المتغير

وقد رأينا هذا الفيلسوف يجعل قوى النفس بجملتها ترجع الى الشعور فصار من اللازم ذكر رأيهِ عن النفس فالنفس في عرفهِ مجموع شعور وليست بذات حقيقية حية فعالة غير قابلة التجزؤ . ومن اطَّلع على تعريفهِ هذا للنفس ظنهُ كغيرهِ من زعماء الحسيين مادي الاعتقاد والحال انهُ خلاف ذلك فهو حسي بحت غير مادي بدليل انهُ في جميع ما كتبهُ جعل النفس مركز الشعور وليس الاعضاء ثم فرَّق ما بين علم النفس (السيكولوجيا) وبين علم وظائف الاعضاء (الفسيولوجيا) . وخلاصة ما يقال ان النفس في عرف كوندياك ولوك صفيحة ملساء تأتيها التصورات بالاختبار على انهما مختلفان في كيفية تكوُّن تلك التصورات حين انطباعها على الصفيحة الملساء فان لوك يحسب ان القوى العاقلة يدٌ في انطباع تلك التصورات اما كوندياك فينكر تلك اليد كما رأيت

٣

والمظهر الثالث للمذهب الحسي المذهب الابيقوري وهو خلاصة المذهبين السابقين وقد تمذهبت بهِ مدرسة لوك كما تمذهبت من قبلها مدرستا ابيقورس وديمقراط . ويقول اصحاب هذا المذهب ليس الشعور مصدر الادراك فقط بل هو مصدر لآداب النفس ايضاً وهو المعين

الوحيد بين الخير والشر وما الخير الاَّ اللذة وما الشر الاَّ الألم

وعندم ان الانسان اذا كان بمعزل عن الشرائع الدينيَّة والمدنيَّة الحاكمين عليهِ تحملهُ رغبتهُ في تجنب الاكدار وحبهُ في اجتلاب المسرة والراحة سعياً وراء السعادة الَّتي هي غاية الانسان في الوجود على اتباع الادب وحسن السلوك . غير ان اساس السعادة حسب تعريف ابيقورس هو اللذة وابَّد مدعاهُ هذا بذات ادلة مدرسة سيرناك الَّتي اتخذت افعال الحيوان دليلاً على حالة الانسان فان الحيوان تدفعهُ الطبيعة إلى الهرب من الالم والسعي وراء اللذة لكن ابيقورس زاد على كلامها هذا بقولهِ ان بين سعي العجماوات والانسان نحو اللذة فرقاً عظيماً فان الحيوان يسعى وراء اللذة طلباً لها اما الانسان فيسعى وراء اللذة لا طلباً لها بذاتها ولكن ليتخذها ذريعة لبلوغ السعادة

وعندم ان كل اللذات ترجع إلى اصلين الواحد منهما لذة الهرج والمرج الَّتي تصدر عن قوة البدن وفرح هذه اللذة مقلق ونتيجتهُ في الغالب مرة ويعزيها ابيقورس بلذة الحركة . والاصل الثاني لذة الراحة وهي اسمى قدراً واعلى شأناً واشد فعلاً في الانسان والخلاصة ان ابيقورس جعل اللذة غاية الانسان العظمى ولم يجعل للفضيلة قيمة في ذاتها وانما جعل قيمتها بنسبة استخدامها للحصول على اللذة الَّتي يتوصل معها الانسان إلى بلوغ السعادة . وهاك قواعدهُ الاربع بهذا الشان من قانونهِ الشهير برهاناً لما عزيناهُ اليهِ

اولاً عليك باللذة الَّتي لا يعقبها كدر

ثانياً ابتعد عن الاكدار الَّتي لا تجرُّ لذة

ثالثاً ابتعد عن اللذات الَّتي تحرمك لذة اكبر او تسبب لك كدراً اعظم من اللذة الَّتي تنالها

رابعاً عليك بالكدر الذي يخلصك من كدر شرهُ او الذي تكون عقباهُ لذة عظيمة

هذه خلاصة مذهب ابيقورس حتى عصر الفلسفة الحديث فانهُ تجلَّى بمظهر جديد واتخذ ذووهُ اسم النفعيين على انهم لم يحصروا سبب الآداب باللذة فقط وانما استبدلوها بالحاجة وقالوا ان كل ما هو نافع بقي بحاجة المرء فهو مليح وكل ما هو ضار فهو قبيح وعلى ذلك فكل فضيلة نافعة وكل رذيلة ضارة . هذا وان كان سبب الآداب اللذة في عرف الابيقوريين والحاجة او النفع عند النفعيين فالمذهبان سواء من حيث انهما لا يعتبران في الانسان قوة اعلى من قوى الشعور تهدي الانسان إلى صراط الآداب الحقة . وحسبك ثبتاً على ذلك ان زعيمهم لوك انكر وجود قوة في النفس غريزية يميز بها الانسان الخير من الشر والمستقيم من الزائغ تلك

القوة المعروفة بالضمير واستشهد على ذلك بالامم المسيحيَّة ألَّتي تنتقل احداها من بني الانسان وتأكل لحمهُ ولا اثر عندها لوخز الضمير وتبكيتهِ وبالجند الاوربي الذي نشأ في احضان التمدُّن كيف انهُ اذا افتتح بلادة عنوةً واقتدارًا وضع السيف في اهلها واكثر من السلب والنهب وقد تابعهُ كوندياك على زعمهِ فانكر قوى النفس الادبيَّة ونسب كل ذلك الى الشعور حيث قال عن الارادة ان الشعورات في استحالتها تنتج الارادة واول قوى الارادة الحاجة او الرغبة ومن الحاجة او الرغبة تنبعث كل قوى النفس الادبيَّة والرغبة هي اتجاه قوى النفس باجمعها صوب السبب الذي يتوهمهُ الانسان مفيدًا لهُ ومرقيًا لشأنهِ وما الحب والبغض والامل والخوف الاَّ الرغبة بنفسها تجلَّت بمظاهر متعددة وما الارادة الاَّ الرغبة المطلقة او الرغبة ألَّتي نعتقد انا نستطيع اتمامها

ولم يقم في العصر الحديث زعيم لهذا المذهب اعظم من توماس هوب وهذا نؤثر عنهُ لما قالهُ في هذا الصدد قال لا بدَّ للحركة الحيوية في داخل الانسان من اتصال مع العالم الخارجي بواسطة المشاعر الخمس ألَّتي تنقل الانفعالات الى الداخل على ان تلك الانفعالات لا بدَّ لها من ان تنتج اما حركة موآتية او مضادة لعمل الحياة تنتهي بالانسان الى اللذة او الالم ولكنها لا تقف عند هذا الحد فقد يتبع اللذة الميل ويعقب الالم النفور الاَّ اننا نتبع كل الحالات ألَّتي تصدر عقب اللذة والالم لم يكن الميل والنفور اولها صدورًا اي الحب والبغض هما اللذان يصدران اولاً ثم يتبعهما الميل والمقت . وقال عن الارادة والحرية الادبيَّة ما ملخصهُ انهُ بمجرد نظر الانسان الى الشيء يتردد اولاً بين الرغبة فيهِ والاشمئزاز منهُ فان فاز خاطر من الخاطرين (اي الرغبة والاشمئزاز) اتخذ الغالب اسم الارادة وهي اعتقد الارادة القدرة على اتمامها سميت تلك الحالة بالحرية وليست الحرية بمستقلة وانما هي عدم وجود الموانع تجاه الارادة

تقدُّم الوراقة

لم يكن في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٠١ سوى معمل واحد من معامل الورق فصار فيها سنة ١٨٧٣ ثمانمئة وعشرون معملاً تصنع في السنة ٣١٧٦٣٧ طنًّا من الورق . وفي الآن ١١٧٨ معملاً تصنع في السنة ثلاثة ملايين و٩٠٠ الف طن من الورق